منهج النديم البغدادي في فهرسة دواوين الشعر
(حتى نهاية العصر الأموي)

أ.د. محمد مولود خلف
قسم اللغة العربية
الجامعة المستنصرية

الحديث عن محمد بن إسحاق النديم حديث عن عالم جليل كان له فضل تصنيف سفر خالد من أسفار المعرفة و العلم و سجل ضم عناوين ما أنتجته الأمة العربية الإسلامية في وقت عزها و مجدها و سطوع كوكبها في سماء الدنيا ، فجاء هذا الكتاب جامعا نافعا في بابه .

و النديم [١] هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق و كنيته أبو الفرج و كنية أبيه أبو يعقوب[٢] . ولا نعرف شيئا كثيرا و مفصلا عن حياة هذا العالم الجليل سوى ما ذكرته مصادر ترجمته من انه إحترف مهنة الوراقة[٣] التي إزدهرت على عهده و راجت تجارتها .

ولقد أتاحت له هذه المهنة الإطلاع على المؤلفات و الكتب و معرفة مصنفيها و مادتها العلمية . ومن المؤكد أن النديم كان على دراية تامة بهذه المهنة مثلما كان على معرفة كبيرة بثقافة عصره وشطر جليل من معارف هذا العصر .فمكنه هذا الإطلاع الواسع على المصنفات أن يضع لها أضخم (ببلوغرافيا) عرفت في زمانه بكتاب (الفهرست) . كما ذكر له صاحب(معجم الأدباء) كتابا آخر سماه(التشبيهات)[٤] ، ربما كان هذا الكتاب في باب الإختيارات الأدبية وهو أمر يشير إلى معرفة بفنون الأدب .

و للنديم رحلات علمية جاب خلالها عددا من المدائن و جال فيها بحثا عن الكتب فكان يجمع ما يصدر منها في الأمصار بخطوط العلماء[٥] .

والنديم البغدادي عارف باللغة العربية و تاريخ الخط العربي مثلما كان عارفا بأشهر اللغات المعروفة آنذاك قراءة و كتابة[٦] .

وقد توهم من ترجم له انه توفي سنة ثمانين و ثلثمائة ، لكن إبن حجر العسقلاني نقل عن أبي طاهر الكرخي ما نصه : أنه مات في شعبان سنة ثمان و ثلاثين يعني و أربعمائة[٧] .

إستفاد أبا الفرج محمد بن إسحاق النديم من مهنته و مما اوتي من معرفة وعلم في تصنيف كتابه . ويبدو انه شرع يجمع مادة الكتاب في سن مبكرة فكان يدون ما يتوفر لديه من معلومات حتى إذا إكتملت هذه المادة وضعها في مسوداته فأصدره في

صورته الأولى سنة ثمان و ستين و ثلثمائة للهجرة[٨] . و كان يعاود النظر فيه حتى إكتمل لديه في مقالاته العشر سنة سبع و سبعين و ثلثمائة للهجرة . و ربما أضاف إليه أشياء كثيرة فيما بعد .
حدد النديم البغدادي في مقدمة كتابه منهجه في الفهرسة فقال :" هذا فهرست جميع الأمم من العرب و العجم الموجود منها بلغة العرب و قلمها في أصناف العلوم ، و أخبار مصنفيها ، وطبقات مؤلفيها و أنسابهم ، و تاريخ مواليدهم ، و مبلغ أعمارهم ، و أوقات وفاتهم ، و أماكن بلدانهم ، و مناقبهم ، و مثالبهم ، منذ إبتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع و سبعين و ثلثمائة للهجرة "[٩] .
و الكتاب مقسم على عشر مقالات في عشرة من جوانب الثقافة العربية الإسلامية هي:

١ـ اللغات و الكتب المقدسة و علوم القرآن .
٢ـ النحو و اللغة .
٣ـ الأخبار و الأنساب .
٤ـ الشعر و الشعراء .
٥ـ الكلام .
٦ـ الفقه و الحديث .
٧ـ الفلسفة و العلوم القديمة .
٨ـ الأسمار و الخرافات و السحر .
٩ـ المذاهب و المعتقدات .
١٠ـ الكيمياء .
و كل مقال مقسم إلى عدة فنون يحكي فيها أسماء الكتب و أخبار مؤلفيها على إختلاف طبقاتهم و أصنافهم .
ذكر إبن حجر العسقلاني ان أبا الفرج محمد بن إسحاق النديم روى في فهرسته عن أبي إسحاق السيرافي و أبي الفرج الأصبهاني و روى بالإجازة عن إسماعيل الصفار[١٠] . و إهتم النديم البغدادي في مقالته الرابعة من (الفهرست) بالشعر و دفعه إهتمامه هذا إلى العناية بفهرسة كتب الأدب و الشعر . و الذي يعنينا في موضوعنا هو منهجه في فهرسة دواوين الشعر .
يبدو ان منهج إبن النديم محكوم بما كان يتوفر عليه من معلومات و أخبار عن الدواوين و أصحابها . فلقد رأيناه يذكر إسم الديوان مع ما يورده من ذكر لكتب من ترجم لهم من الشعراء ، و في هذا المنهج نراه يفصل القول بخصوص الديوان بل إنه غالبا ما يذكر أن للشاعر ديوان شعر و لايذكر كم هو عدد أوراقه أو أية معلومات أخرى . و هذا المنهج نراه واضحا في غير المقالة الرابعة ففي خبر سعيد بن وهب [١١] ذكر إبن النديم أن له ديوان شعر و إكتفى بذلك ، و فعل مثل هذا بالنسبة لأبي علي البصير الشاعر[١٢] و سعيد بن حميد أبو عثمان[١٣] و محمد بن يزداد بن سويد وزير المأمون[١٤] و إبراهيم بن هلال الصابي[١٥] . و لكنه ربما سماه شعرا لا ديوانا وهو ما

ذكره حين أورد خبر أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلال الشاعر المتوفى سنة ٢٨٠هـ فقال : كتاب شعر أبي العيناء نحوا من ثلاثين ورقة [١٦] .
و ربما كان سبب هذا ان إبن النديم إمتلك نسخة من هذا الديوان أو رآه أو كان من جملة ما نسخه أو إطلع عليه أثناء تجواله في المدن و الأمصار .
إن الذي مر من الدواوين هو ما صنعه أصحابها و لقد إكتفى إبن النديم في بطاقة فهرستها بذكر المؤلف و ديوانه[١٧] ، كما ذكر أحيانا عدد أوراق الديوان كما هو الحال عندما ذكر ديوان أبي العيناء .
لكن إبن النديم لا يلتزم بهذا المنهج إذ نراه في الفن الثاني من المقالة الثانية من كتاب (الفهرست)[١٨] حين أورد ذكر أخبار النحويين و اللغويين يذكر ما صنفوه و صنعوه من الدواوين.
ففي أخبار ثعلب قال : و عمل أبو العباس قطعة من أشعار الفحول و غيرهم منها الأعشى و النابغتان و الطرماح[١٩] . و في أخبار أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ قال: و عمل أبو بكر عدة دواوين من أشعار العرب الفحول منه[٢٠] شعر زهير و النابغة و الجعدي و الأعشى و غير ذلك .
و في أخبار أبي عبدالله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ قال:له كتاب شعر حاتم الطائي نحو مائتي ورقة[٢٢] . أما حين أورد أخبار محمد بن يحيى بن العباس الصولي و كان قد إطلع على خزانة هذا الرجل[٢٣] ، فقد ذكر انه صنف أشعار المحدثين على حروف المعجم[٢٤] ، إبن الرومي ، أبو تمام ، البحتري ، أبو نؤاس ، العباس بن الأحنف ، علي بن الجهم ، إبن طباطبا ، إبراهيم بن العباس ، إبن شراعة ، الصولي ، إبن الرومي . لكن منهج الفهرسة يتضح أكثر في المقالة الرابعة بل و يسلك فيها إبن النديم البغدادي منهجا علميا رسم معالمه و ألزم نفسه بإتباعه في قوله :" غرضنا في هذه المقالة أن نبين عن ذكر صناع أشعار القدماء و أسماء الرواة عنهم لدواوينهم و أسماء أشعار القبائل و من جمعها و ألفها و نذكر في الفن الثاني من هذه المقالة و يحتوي على أشعار المحدثين مقدار حجم شعر كل شاعر و المكثر منهم و المُقل "[٢٥] .
لقد غدت فهرسة دواوين الشعر عند النديم أكثر تنظيما و أحسن ترتيبا و حوت معلومات أكثر من ذي قبل . فصار يذكر إسم الشاعر الجاهلي أو الإسلامي و يعني بذلك ديوانه ثم يذكر من صنعه ، ثم صار يعطي في هذا العمل رأيا يتعلق بالجودة و الحسن أو خلافهما ، و قد يذكر راوية الديوان.

ذكر ما ورد في الفهرست من دواوين الشعراء

و سنقتصر هنا على ذكر الدواوين التي وردت في المقالة الرابعة المتعلقة بالشعر و الشعراء الجاهليين و الإسلاميين فقد أورد أسماء الدواوين الآتية :

١ـ أبو الأسود الدؤلي[٢٦] ، أبو حية ، أبوالنجم ، إبن دريد ، الأخطل[٢٧] ، أعشى باهلة ، الأعشى الكبير[٢٨] ، إمرىء القيس[٢٩] ، بشر بن خازم[٣٠] ، تميم بن أبي مقبل ، جران العود[٣١]، جرير[٣٢] الحادرة[٣٣] ، الحطيئة[٣٤]، حميد الأرقط ، حميد بن ثور ، خداش بن زهير ، خريبة ، الخنساء[٣٥] دريد بن الصمة الجشمي ، ذو الرمة[٣٦] ،الراعي عبيد بن الحصين ، رؤبة بن العجاج [٣٧] ، الزبرقان بن بدر ، سالم بن وابصة ، سحيم بن وثيل العاملي الرياحي[٣٨] ، سعيد بن عبد الرحمن، الصمة القشيري ، شبيب بن البرصاء ، الشماخ بن ضرار الذبياني[٣٩] ، الطرماح بن حكيم الطائي[٤٠] ، العباس بن عتبة بن أبي لهب ، عباس بن مرداس ، عبد الرحمن بن حسان بن ثابت[٤١] ، عبيدالله بن قيس الرقيات[٤٢] ، العجاج الراجز[٤٣] ، عدي بن زيد[٤٤] ،عدي بن الرقاع [٤٥]، عروة بن الورد[٤٦]، عمرو بن شأس ، عمرو بن معديكرب[٤٧] ، الفرزدق[٤٨] ، الكميت[٤٩] ، الكميت بن معروف ، لبيد بن ربيعة[٥٠] ، المتلمس[٥١]، متمم بن نويرة ، المرار الفقعسي ، مزاحم بن عمر العقيلي[٥٢]،المسيب بن علس[٥٣] ، مضرس بن ربعي ، معن بن اوس ، مهلهل بن ربيعة [٥٤]، النابغة الجعدي[٥٥]، النابغة الذبياني [٥٦]، النمر بن تولب ، هدبة بن الخشرم .

جهود النديم البغدادي في التعريف بصناع الدواوين

من الواضح ان أبا إسحاق النديم ـ ولكي يتم عمله في التعريف بالدواوين ـ فقد عرَف بصناع الدواوين و ما بذلوه من جهد في سبيل جمعها و ترتيبها على وفق ما وصلت إلينا . وقد أشار إلى غرضه هذا بقوله في المقالة الرابعة :" غرضنا في هذه المقالة أن نبين عن ذكر صناع أشعار القدماءو أسماء الرواة عنهم و لدواوينهم و أسماء أشعار القبائل ممن جمعها و ألفها " [٥٧] .

و كان أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري في مقدمة صناع الدواوين لما بذله من جهود في إظهار و صنع جملة حسنة منها كان النديم قد وقف عليها أو قرأ عنها أو سمع بها لذلك رأيناه لا ينسى فضل هذا العالم و الراوية الجليل فعرَف به و بجهوده في كتاب (الفهرست)فقال عنه :" الذي عمل من العلماء أشعار الشعراء فجود و أحسن ، أبو سعيد السكري "[٥٨] . و ذكر في موضع آخر أنه " حسن المعرفة باللغة و الأنساب و الأيام مرغوب في خطه لصحته . . . و عمل السكري أشعار جماعة من الفحول و قطعة من القبائل .فمن عمل من الشعراء : امرؤ القيس و النابغتين و قيس بن الخطيم وتميم بن أبيَ بن مقبل و أشعار اللصوص و أشعار هذيل وهدبة بن خشرم و الأعشى و مزاحم العقيلي و الأخطل و زهير"[٥٩] . و لقد مر بنا ما صنعه السكري من دواوين الشعراء ، و إلى جانب هذا العالم الجليل كان هناك آخرون من صناع الدواوين ومنهم عبدالملك بن قريب بن عبدالملك الأصمعي، و كان أنشد للشعر و المعاني و أعلم بالنحو . قال النديم :" و عمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب[٦٠] . و صنع ديوان امرىء القيس و الحطيئة و لبيد و الأعشى الكبير و النمر بن تولب و النابغة الذبياني و آخرين .

و ممن ذكر النديم من صناع الدواوين أبا عمر الشيباني و كان راوية واسع العلم باللغة و الشعر ثقة في الحديث كثير السماع و أخذ عنه دواوين أشعار القبائل[٦١] .
وصنع دواوين كل من الحطيئة و دريد بن الصمة و متمم بن نويرة و أبي النجم العجلي و العجاج الراجز و رؤبة بن العجاج و جرير .
و ذكر النديم البغدادي إبن السكيت أحد صناع دواوين الشعر و كان حسن المعرفة بالعربية عاما بالنحو وعلم القرآن و الشعر[٦٢] . وصنع دواوين كل من امرىء القيس و الحطيئة و لبيد بن ربيعة و الأعشى الكبير و أعشى باهلة و العباس بن مرداس و النابغة الذبياني و النابغة الجعدي و مهلهل بن ربيهة و الكميت و عروة بن الورد و الخنساء و غيرها .

المعلومات التي حوتها بطاقة الفهرسة عند النديم البغدادي

إن أهم المعلومات التي أوردها النديم في كتابه(الفهرست) عند فهرسته لدواوين الشعر تقع في ما يأتي :
١ـ ذكر النديم كل من روى أشعار الشاعر و من صنع الديوان أي بمعنى أنه أشار إلى عدة نسخ منه و بروايات عديدة ، فعلى سبيل المثال عند فهرسته لديوان امرىء القيس بن حجر قال : رواه أبو عمرو و الأصمعي و خالد بن كلثوم و محمد بن حبيب و صنعه من جميع الروايات أبو سعيد السكري ، و صنعه أبو العباس الأحول و عمله إبن السكيت .
٢ـ و لا يكتفي إبن النديم بهذا فهو يعطي رأيا نقديا بإسلوب صنعة الديوان فعندما ذكر أن أبا سعيد السكري قد صنع ديوان امرىء القيس قال فجود فيه و كذلك فعل عندما ذكر عمل السكري لديوان رؤبة العجاج و دواوين الأخطل و الفرزدق ، لكنه ذكر أن الأصمعي قصَر في صنع ديوان النابغة الذبياني[٦٣] .
٣ـ و إذا ما ذكر النديم عدد أوراق الديوان فإنه يقصد بذلك أن تكون الورقة سليمانية و مقدار ما فيها عشرون سطرا في الصفحة الواحدة [٦٤] .
فقد يكون فيما أوردنا من ملاحظات حول فهرسة النديم البغدادي لدواوين الشعر شيئا من إنصاف هذا الرجل و إعطائه حقه و التعريف بمكانته العلمية بين علماء عصره و الكشف عما قدمه من خدمة جلى في باب إستيعاب المؤلفات و المصنفات العربية التي صنفت حتى زمانه . فكان بحق رائدا لعلم الفهرسة الحديثة على وفق طريقته التي جعل أساسها ترتيب المعارف على عشر مقالات في كل مقالة عدد من الفنون و في هذا النظام العشري أكاد اجزم أنه إستوفى فيه موضوعات عصره تحت عناوين هذه المقالات و متونها . و بهذا فقد تبين ان النديم البغدادي وضع له منهجا في الفهرسة و ألزم نفسه به فما حاد عنه .

الهوامش

(١) انظر ترجمته في :
الحموي ، أبو عبد الله ياقوت (ت. ٦٢٦هـ) ،معجم الأدباء ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، ب ت) ، ج ١٨ ، ص ١٧ . العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (ت. ٨٥٢هـ) ، لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي ،(بيروت ، ب. ت) ، ج ٥،ص ٧٢ . الزركلي ،خيرالدين ، الأعلام ، (بيروت ، ١٩٦٩) ،ج٦، ص ٢٥٣ . الموسوعة العربية الميسرة ،إشراف محمد شفيق غربال ، دار الشعب ، (القاهرة،١٩٥٩) ،ص ٢٨ . موسوعة العلوم الإسلامية و العلماء المسلمين ، تحقيق و مراجعة مجموعة من الأساتذة ، مكتبة المعارف ، (بيروت،ب.ت) ،ص ، ١٧٤ . بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ، ج ٣،ص ٧٢ .
(٢) الحموي ، المصدر نفسه ، ج ١٨ ، ص ١٧ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) النديم ، محمد بن أبي يعقوب إسحق ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، (طهران ، ١٩٧١) ، ص ٩٤.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٧ و ما بعدها .
(٧) العسقلاني ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٢ .
(٨) موسوعة العلوم الإسلامية ، المصدر السابق ، ص ١٧٤.
(٩) الزركلي ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٥٣.
(١٠)العسقلاني ، المصدر السابق ،ج ٥ ، ص ٧٢ .
(١١)النديم ، المصدر السابق ، ص ١٣٦.
(١٢)المصدر نفسه ، ص ١٣٧.
(١٣)المصدر نفسه .
(١٤)المصدر نفسه ، ص١٣٨.
(١٥)المصدر نفسه ، ص ١٤٩.
(١٦)المصدر نفسه ، ص ١٣٨.
(١٧)المصدرنفسه ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ .
(١٨)المصدر نفسه ، ص ٧١.
(١٩) المصدر نفسه .
(٢٠) المصدر نفسه .
(٢١) المصدر نفسه ، ص ٨٧.
(٢٢) المصدر نفسه .
(٢٣) المصدر نفسه ، ١٦٧.
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٨.
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٧.
(٢٦) بروكلمان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٥.
(٢٧)المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٨.
(٢٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٠ .
(٢٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٣١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦٠ .
(٣٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .
(٣٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٠ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٧ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٥ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٦ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٧.
(٣٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٥ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .
(٤١) المصدر نفسه، ج ١ ، ص ١٥٤ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
(٤٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
(٤٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٥ .
(٤٥) حققه د. نوري حمودي القيسي ، بغداد ١٩٨٧ .
(٤٦) بروكلمان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٩ .
(٤٧) جمعه هاشم الطعان ، بغداد ١٩٧٠ .
(٤٨) بروكلمان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٣ .
(٤٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .
(٥٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٦ .
(٥١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٤ .
(٥٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .
(٥٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥١.
(٥٤) جمعه السيد نافع منجل ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٧ .
(٥٥) بروكلمان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢.
(٥٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٩ .
(٥٧) النديم ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .
(٥٨) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .
(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .
(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
(٦١) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .
(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .
(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .
(٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .